دور كربلاء في ثورة العشرين

الأستاذ الدكتور

حسن علي سبتي الفتلاوي

كلية الآداب – جامعة بغداد

الملخص

ساهمت كربلاء الارض والانسان بدور بارز في اندلاع ثورة ١٩٢٠ في العراق والمساهمة في صنع مسارها ونتائجها.

فقد ساهمت الارض المقدسة بتراثها الثوري المقدس في اثارة الوعي الوطني وتنشيط همة العراقيين في المطالبة بحقوقهم الوطنية المشروعة من جانب وساهمت في تمويل الثورة بالمادة الاولية لها من رجال القبائل وبعض الاموال لتمويل الجهد الحربي خلال عمليات مقاومة الوجود البريطاني العسكري والاداري في العراق.

غير بعيد ما سبق عن تعاضد جهود المرجعية العلمية الممثلة بالشيرازي قيامه بدور مزدوج في اثارة الوعي الوطني والديني وتنظيم العمل الثوري لحركة الجهاد في الثورة عبر اجتماعات متتالية مع زعماء العشائر وشخصيات كربلاء والمدن المهمة المجاورة بغض النظر عن الانتماء الديني او الطائفي.

ادت وفاة الشيرازي في ١٧آب/ ١٩٢٠ الى اضعاف القدرة التنظيمية للثورة ودور كربلاء فيها متزامنا مع تقلص القدرات القتالية للثوار لانعدام الدعم الخارجي وعدم وجود بدائل محلية وبخاصة ما يتعلق بتوفير الاسلحة والاعتدة مقابل زيادة التعبئة العسكرية البريطانية وتفوقها القتالي على العراقيين لاسيما بعد تحررها من عبء العمليات القتالية خلال الحرب العالمية الاولى.

ادى تولي الشيخ الاصفهاني ومقره النجف الى تضاؤل دور كربلاء التنظيمي في ثورة العشرين مقترنا مع تراجع القدرات القتالية للثوار الى تحول قادتها الى الخيار السلمي والمساهمة في اقامة الحكم الملكي وتتويج الامير فيصل ملكا على العراق في ٢٣ آب/ ١٩٢١.

Karbala Role in the Revolution of 1920

Assist. Prof. Hasan Ali Sabti Al-Fatlawi

College of Arts – University of Baghdad

Abstract

The city of Karbala had suffered a lot in its administration and economic activities, especially in its rural districts throughout a long period of its modern history.

The political developments in Iraq during the late Ottoman era and the beginning of the British control help to generate political and administrative vacuum due to the withdrawal of civilian and military Ottomans staff and their departments.

Many factors contributed to gather the popular efforts in order to organize revolution especially by the religious leader Imam Mohammad Riza Al Shirazy who called for armed methods to gain Iraqi Rights.

Tribes leaders contributed in many conferences to regulate the preparatory work to declare the 1920 revolution by gathering weapons, men and money.

The death of Imam Mohammad Riza Al Shirazy in August 17, 1920 created a vacuum in the revolutionary leadership which led Karbala to change their local government instead of local congress.

The weakness of the revolution led the popular effort to focus on the political side to establish a notional government ruled by Prince Faisal as a king of Iraq in August 23, 1921.

المقدمة

ادت الحرب العالمية الاولى الى تطور الوعي الوطني والقومي في العراق غيرة من الدول التي كانت خاضعة للسيطرة الخارجية. وعلى الرغم من كون الدولة العثمانية دولة اسلامية وبالتالي كانت تشترك مع العراقيين بالرابطة التي فرضت مشتركات مفاهيمية كثيرة بين الجانبين، إلا أن اعتماد الدولة العثمانية المذهب الحنفي جعلها تعيش فاصلة مذهبية مع العراق الذي يتبنى في اغلبه المذهب الجعفري الاثني عشري.

عمَّق الشرخَ الطائفي تبني الدولة العثمانية المفهوم القومي الطوراني والذي فرض التمايز القومي الاستعلائي على العراق العربي واضعاف الرابطة الدينية التي تربط العراق بمحيطه العثماني المتعدد القوميات، زاد في ذلك الشرخ التخلف العثماني الذي أضعف قدرة العراقيين على استيعاب آليات التقدم الحضاري من جهة والقدرة على مقاومة الغزو الغربي للوطن العربي بما فيه العراق وهو ما قلل من قيمة السيطرة العثمانية في نظر العراقيين وبالتالي تحميلها مسؤوليتي التخلف والغزو الغربي.

حانت فرصة العراقيين في التخلص من العثمانيين تفوق القوات البريطانية على العثمانيين وطردهم من العراق وهو ما ولد فراغا واضحا كان لابد من سده بطريقة تخدم المصالح العراقية في تحقيق المصالح الذاتية والوطنية، لكن تلك الرغبات جوبهت بالوجود البريطاني بكل ما يمثله من قوة عسكرية واختلاف عقائدي مع العراقيين.

ساهم الاختلاف العقائدي في اعطاء المدن المقدسة لاسيما كربلاء والنجف دورا واضحا في قيادة الثورة التي اندلعت ضد البريطانيين عام ١٩٢٠، وقد قاد تلك الثورة تحالف مكون بشكل اساس من زعماء العشائر والقبائل وعلماء الدين نتيجة مجموعة من العوامل من بينها القوة العسكرية للقبائل وقدرتها التنظيمية العالية ووجود قادة كفوئين فيما كان الامر بالنسبة لعلماء الدين المكانة السامية في نفوس العراقيين وتغلغلهم داخل المنظومات العشائرية مع سيطرتهم على التعليم لندرة التعليم الرسمي العثماني.

عزز دور كربلاء موقعها وسط الفرات الأوسط الموالي للحوزة العلمية التي تشرف على ترسيخ الإتجاه العقائدي الموالي لأهل بيت النبوة، ووفاة المرجع الديني محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان/ ١٩١٩م وحضور الكثير من الشّخصيات والزعامات الدّينية والعشائرية من مختلف المذاهب إلى مدينة النجف الأشرف لمقاومة البريطانيين وتولّى المرجعية الدينية محمد تقي الشيرازي وله مكانته في الحركة الوطنية ليس لمكانته الدينيّة فقط، بل لعلاقاته مع العشائر وفهمه لمسار العمل والعلاقات السياسية وتبنيه مواقف حاسمة وواضحة تجاه مستقبل العراق السياسي.

لعبت كل تلك العوامل دورا اساساً في الدور التنظيمي لثورة العشرين سواء اكان في الدور التمهيدي لها ام خلال العمليات العسكرية طيلة فترة الثورة او التمهيد للبناء السياسي والاداري للعراق لما بعد الثورة وتأسيس النظام السياسي العراقي الملكي.

أولاً: دور كربلاء في التمهيد لثورة العشرين العراقية:

بعد تزايد الأصوات العراقية باتجاه إعلان الثورة المسلَّحة، ظهرت في مدينة كربلاء وجهتا نظرٍ مختلفتين حول كيفية التعامل مع الاحتلال البريطاني، الأولى من قبل المرجع الدّيني الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي[١] دعا فيها إلى إعقاد المعارضة السلمية بينما أكَّدت الثانية على ضرورة استخدام القوة المسلَّحة أثر تجاهل بريطانيا المطالب التي قدمتها الحركة الوطنية[٢]، متأثّرة بتصاعد المد التحرري العربي ضدّ سياسات ونوايا بريطانيا وفرنسا باستعمار المنطقة وفرض الهيمنة المباشرة عليها والتي جوبهت بالثورة المصرية عام ١٩١٩ ومعركة ميسلون في سورية كما كان للثورة العراقية في مدينة النجف الاشرف عام ١٩١٨م والخسائر المادية والبشرية التي تكبّدها المستعمر البريطاني دوراً في تعميق فكرة الكفاح المسلّح لمواجهة المحتل[٣].

زاد من حدّة الرغبة في حمل السلاح ضدّ البريطانيين ثقل الضرائب التي فُرضت على العراقيّين بما فيهم سكّان كربلاء وتصاعد الكراهية ضدّهم بعد اتخاذ العلاقة بين الجانبين الصفة العقائدية بين مسلمين وكفّار أي انه يمكن الجمع بين الإسلام والسيطرة الأجنبية المسيحية[٤]، غير بعيد عن قضية الاحتلال والاستقلال والتحرّر.

ساهم في تسريع تنظيم الحركة الوطنية وفاة المرجع الديني محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان/ ١٩١٩م وحضور الكثير من الشّخصيات والزعامات الدينية والعشائرية (من مختلف المذاهب إلى مدينة النجف الأشرف) بما مثَّل فرصة لتعزيز الأواصر الوطنية وتنسيق المواقف لمواجهة البريطانيّين[٥]، عزّزها باختيار محمد تقي الشيرازي رمزاً للحركة الوطنية ليس لمكانته الدينيّة فقط، بل لعلاقاته مع العشائر وفهمه لمسار العمل والعلاقات السياسية وتبنيه مواقف حاسمة وواضحة تجاه مستقبل العراق السياسي.

اتضح دور تلك التحوّلات في التركيز على حلّ إشكالية العلاقة مع البريطانيين، إذ سعى علماء الدين ومنهم الشيرازي باعتباره المرجع الأعلى إلى تنظيم الحياة السياسية والبناء التنظيمي للدولة العراقية الوليدة بعد الانسحاب العثماني وعدم الاستقرار على صيغة راسخة متَّفق عليها بين العراقيين والبريطانيين مع زيادة الامتعاض الشعبي من السياسة البريطانية نتيجة تعارضها مع الوعي الشّعبي والتبشير الفكري بحقّ تقرير المصير للشعوب التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانيّة.

أدّت كربلاء دوراً اساسياً في التهيئة للثورة بعد تذّمر العراقيين من مُقررات مؤتمر سان ريمو الذي عقد في نسيان عام ١٩٢٠م ومن بينها، وضع العراق تحت الانتداب البريطاني، اذ استغل علماء الدين الزيارة الرجبية في ٢٧ رجب الموافق ليوم ١٦ نيسان/ ١٩٢٠م أي قبل ثلاثة أيام من انعقاد مؤتمر سان ريمو، اذ توافد الكثير من الشخصيات الوطنية القوية إلى كربلاء منهم عبد الواحد آل سكر شيخ آل فتلة والملاك المعروف جعفر أبو التمن ومولود مخلص (وهو ضابط سابق في الجيش العثماني والتحق بالجيش العربي مع الملك فيصل الاول) وخيون العبيد شيخ العبودة وعلي الشرقي (وهو من علماء الدين) وغيرهم وقد اجتمعوا في دار السيد نور السيد عزيز الياسري للتباحث بأمور البلاد السياسية واخر التطورات الاقليمية ومدى تأثيرها على العراق. كما عقدت فيما بعد اجتماعات عدّة كان أولها في الرابع من أيار ١٩٢٠م للغرض نفسه [٦].

يُلاحظ من خلال الاطّلاع على أسماء المشاركين في أن أغلبهم كان من الشخصيات المرموقة وذات النفوذ القبلي أو الحضور الاجتماعي والقدرة الاقتصادية وقد حضر الاجتماع شخصيات من مختلف الطوائف وأهم ما تقرّر في الاجتماع القيام بالثورة وتحقيق ما يأتي: –

١. أن تجعل كربلاء مقرّاً تأسيسياً لجمعية أسموها الجمعية الإسلامية مع إنشاء فروع لها في أنحاء العراق المختلفة وتكون رئاستها بيد المرجع الديني محمد تقي الشيرازي.
٢. إصدار منشور موقّع من المرجع الدّيني يدعو فيه إلى الوحدة والتضامن في مواجهة التحديات القائمة.
٣. جعل يوم الجمعة يوم عطلة رسّمية لقطع الطّريق أمام البريطانيّين لاختيار يوم الأحد توافقاً مع الاعتياد البريطاني مع دعوة الجميع لاستغلال هذا اليوم لإثارة الحماسة عبر المنابر والخطب الدينية استعداداً للمواجهة المتوقّعة[٧].

كان ما سبق إلى جانب زيادة وفداحة الضرائب البريطانية على القطاعات الاقتصادية العراقية المختلفة فضلاً عن تصاعد تأثيرات التّضاد العقائدي بين العراقيّين والبريطانيّين ولهذا عُقدت سلسلة من الاجتماعات كان أوّلها في (٢٧ رجب / ٢٦ نيسان ١٩٢٠م) في دار السيد علوان الياسري في النجف، وحضره العديد من رجال الحركة الوطنية والإصلاحية، ومنهم علي الشرقي وحسين كمال وآخرون [٨].

تطرّق المجتمعون في الاجتماع إلى إمكانية القيام بالثورة المسلَّحة ضد البريطانيين وانقسموا إلى مؤيد ومعارض، ثم توصلوا إلى اتفاق يقضي بتأجيل اعلان الثورة حتى اكتمال استعداداتهم اللازمة [٩]، واتفقوا على القيام بالعصيان المدني بعد ان قرروا جعل كربلاء المركز التنظيمي لها مع الدعوة الى توحيد الكلمة والموقف في مواجهة التحديات وجعل الجمعة العطلة الرسمية لسكان المدينة وسكان المنطقة[١٠].

كما عقد اجتماع سري منتصف شعبان ١٣٣٨هـ

الموافق ٤ أيار/ ١٩٢٠م في دار ابي القاسم الكاشاني المجاور للصحن الحسيني الشريف لتدارس الاوضاع في العراق واصدار تعليمات وأوامر من القيادة الدينية لمواجهة أي أحتمالات لا سيما العلاقة مع بريطانيا [١١] في وقت اتسع فيه نشاط الحركة الوطنية العراقية.

ومؤازرة الاوساط الشعبية لها مما شجع حرس الاستقلال على اقامة مواليد نبوية وشعائر حسينية مشتركة بين الشيعة والسنة في الجوامع والحسينيات لقراءة المدائح النبوية واداء مراسيم عزاء الإمام الحسين عليه السلام [١٢].

عُقد الاجتماع بحضور السّادة كلّ من علوان الياسري وهادي زوين ومحمد رضا الصافي وكاطع العوادي ومحسن ابي طبيخ وعبد الواحد آل سكر ومجبل الفرعون وعلوان الحاج سعدون وعباس الحسين ومرزوك العواد وشعلان الجبر وشعلان العطية وشعلان ابي الجون وغثيث الحرجان فضلاً عن العديد من القيادات والزّعامات العشائريّة والوطنيّة وعلماء الدين، لكن الاجتماع السري اقتصر على شخصيات محدودة، خشية تسرب القضايا المطروحة للنقاش وفي مقدمتها، توقيت اعلان الثورة ضد الادارة البريطانية وإمكانية مداهمة قواتها للزعماء المجتمعين والذين كان من بينهم، عبد الوهاب آل وهاب ومحمد علي هبة الدين الحسيني الشّهرستاني مع شخصيات اخرى كربلائيّة منهم عمر العلوان وطليفح الحسون ومهدي القنبر ورشيد المسرهد وعبد الكريم العواد وغيرهم وقد تم اختيار خمسة أشخاص من بين الحاضرين لمفاتحة المرجع الشيرازي بشأن إعلان الثّورة وهم كل من الشيخ عبد الكريم الجزائري وجعفر ابي التمن والسيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والشيخ عبد الواحد آل سكر [١٣]، وفعلاً ذهبوا إلى بيت الشيخ الشيرازي وأخبروه بنيّتهم فأجابهم أن «الحِمْل ثقيل وأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية للمحاربة مع الجيوش المحتلّة» لكنهم أكدوا له قدرتهم على ذلك عندها استفسر منهم عن إمكانيتهم في حفظ النظام، فأكدوا له بأن الثورة لابد منها وانهم سيبذلون ما بوسعهم لحفظ النظام وتوفير راحة العموم [١٤].

عُزّز العمل التنظيمي للحركة الوطنيّة في كربلاء وغيرها من المدن العراقية بعد نشر الصحف في أيار/ ١٩٢٠م قرار الحلفاء وضع العراق تحت الانتداب البريطاني والتي أعطت الحركة الوطنية الحجة في تصعيد المقاومة ضدّ الوجود البريطاني [١٥]، تزامن ذلك مع إطلاق المرجع الشيرازي بلاغاً رسمياً الى الشعب العراقي جاء فيه: (إن إخوانكم في بغداد والكاظميّة والنجف وكربلاء قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بتظاهرات سلميّة وقد قامت جماعات كبيرة بتلك التظاهرات مع المحافظة على الامن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية وذلك بأن يرسل كلّ قطر وناحية إلى عاصمة العراق بغداد وفداً للمطالبة

بحقّه متفقاً مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد فالواجب عليكم... الاتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشّريف))[١٦] وقد سُلِّمَ هذا البلاغ إلى جعفر ابي التمن من قبل محمد باقر الشبيبي وقد طبعت جمعية حرس الاستقلال نسخاً كثيرة منه وتمّ نشرها في مناطق العراق المهّمة منها بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف وانحاء العراق المختلفة[١٧].

بالمقابل لم يستطع الميرزا محمد خان بهادر معاون الحاكم السياسي في كربلاء، الحد من الروح الثوريّة او الوقوف بوجه الثوّار فانسحب من كربلاء، عندها أصبحت المدينة تحت سيطرة الثوار الذين رفعوا علم الثورة العربية الكبرى على مبنى البلدية[١٨].

عُقد اجتماع آخر في الخامس عشر من شعبان ١٣٣٨هـ في دار الشيخ الشيرازي وقد حضره السيد عبد الكريم الجزائري وجعفر أبو التمن والسيد نور الياسري وعبد الواحد السكر وشعلان أبو الجون وهادي زوين وشعلان الجبر[١٩].

وإن اختيار دار الشيرازي مكاناً للاجتماع هدفه تشتيت الجهد الاستخباري البريطاني وتجنّب اعتقال كلّ الزعماء الوطنيّين في حال وصول القوّات البريطانيّة إليهم.

ناقش الاجتماع الثاني مع اعلان الثورة، الحصول على تطمينات بإمكانية محافظة الثوار لاسيما الزعماء على الامن والنظام عند انطلاق الثورة[٢٠]. وبعد تعهّد الحاضرين الاستعداد والقُدرة على المحافظة على الامن بارك المرجع الشيرازي ذلك بالقول ((اذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم، الله في عونكم))[٢١] وفي اليوم التالي والموافق ١٦ شعبان / ١٣٣٨هـ عقد اجتماع في دار السيد علوان الياسري في محلة باب السلالمة في كربلاء حضره المشاركون في الاجتماع الاول اتفقوا فيه على الاستمرار بالمطالبة السلمية اذا اصر البريطانيون على موقفهم الرافض تسليم السلطة الى العراقيين، وفي نهاية الاجتماع ذهب المجتمعون الى مرقد الامام الحسين عليه السلام وأقسموا فرداً فرداً بالقرآن وبقدسية الإمام الحسين عليه السلام على أداء الأمانة للتخلّص من الاحتلال البريطاني. وتم اداء القسم بإشراف السيد عبد الوهاب أحد وجوه كربلاء البارزين وكما تعهّدوا بالعودة مجدّداً للتداول بشأن السبل المثلى للتخلّص من الاحتلال البريطاني[٢٢].

سعى الكربلائيون خلال تلك المدة إلى توحيد الصف الوطني ضدّ البريطانيين وذلك باستقطاب الشخصيات البارزة في بغداد للانضمام إلى الصف الوطني المقاوم والرافض للأحتلال البريطاني باعتبارها المركز الإداري والسياسي الأساس في العراق وكبر حجمها الديمغرافي، فضلاً عن السّعي الى لَمْلَمة البناء الاجتماعي وتجاوز الانتماءات الطائفية وإفشال الخطط البريطانية في إثارة الصراع الطائفي من خلال:

١. إدراك زعماء العراق ولاسيما علماء وشيوخ العشائر قوة الإدارة البريطانيّة وتفوّقها الحاسم

قياساً بالقدرات العراقية المحدودة.

٢. وجود مساعٍ بريطانية لإثارة النعرة الطائفيّة لإضعاف قدرات العراقيين وتشتيت جهودهم السياسيّة والإدارية.

٣. استغلال الخلفيّات الاجتماعية للإدارة العثمانية لإثارة الاحقاد بين العراقيّين عبر الإيحاء بوجود توجُّد عقائدي سابق بين العثمانيّين وسنة العراق والسّعي لإثارة الصراع على السّلطة بين طوائفه.

٤. السّعي إلى إنشاء نظام سياسي قائم على أساس التوفيق بين التراث والمعاصرة بين رؤى الحوزة العلميّة والفكر الغربي أي تكوين نظام سياسي قادر على التوفيق بين وحدة الدّولة العراقية ومكونات المجتمع العراقي.

راسل علماء الدين في كربلاء بعض الشخصّيات المهمّة في بغداد وألويه أخرى منهم جعفر أبو التمن والشيخ أحمد الداود وعدد من شيوخ العشائر[٢٣]، بغض النظر عن انتماءاتهم الطّائفية مع ترسيخ التحالف وتنسيق المواقف مع جمعية حرس الاستقلال[٢٤]، من خلال الاتصالات التي كان يُجريها محمد رضا الشيرازي نجل المرجع الأعلى ومحمد باقر الشبيبي وجعفر ابو التمن[٢٥] مما شكّل خلفية تنظيمية جيدة لما حصل من عمليات حربيّة فيما بعد، فيما كانت أنظار الكثير من الوطنيين العراقيّين متجهة إلى كربلاء باعتبارها المركز الديني الاساس والذي يضم مقر المرجع الديني الاعلى في ذلك الوقت ومساندته لاندلاع الثورة ضد البريطانيين وما أدّى إلى تسريع اندلاعها عمليات الاعتقالات التي طالت مجموعة من الشخصيات البارزة والمهمة كان من بينها اوامر ضدّ بعض سكنة كربلاء منهم الشيخ محمد رضا نجل الشيخ الشيرازي والشيخ هادي كمونة ومحمد شاه الهندي وعبد الكريم آل عواد وعثمان الحاج علوان وعمر الحاج علوان وعبد المهدي قنبر وأحمد القنبر والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ كاظم أبو آذان وإبراهيم ابو والدة والسيد احميد البير ونفيهم الى جزيرة هنجام في ٢٢ حزيران/ ١٩٢٠م[٢٦].

أدّت تلك السياسة في إثارة امتعاض نسبة عالية من الشّعب العراقي، عندها اقتنع الشيخ الشيرازي أن السياسة البريطانية لا يمكن أن تلتقي مع طموحات الشّعب العراقي وآماله في التحرّر والاستقلال وإن استمرّت فإنها ستؤدي الى القضاء على البناء التنظيمي للحركة الوطنية نتيجة تعقُّب زعماء تلك الحركة ورجالاتها المهمّين فأصدر فتوى الجهاد التي جاء فيها ان مطالبة العراقيين بالحقوق واجب عليهم، و((ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعاية السلم والامن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكَليز من قبول مطالبهم))[٢٧].

انتقلت حركة الإعداد للثورة وعمليات المقاومة إلى أطراف كربلاء وامتداداتها في الفرات الاوسط لمجموعة من الاسباب من بينها:

١. صغر حجم المدينة قياساً بأطرافها وهو ما قلّص فرص المناورات الحربيّة من المدينة ضدّ القوّات البريطانية.

٢. تسابق العراقيون وتحديداً سكّان الأرياف ذوو الانتماءات العشائرّية ومن الملتزمين بتوجيهات المرجعية إلى مقاومة الوجود البريطاني مدفوعين بفتوى المرجعية وتصاعد الحس الوطّني.

٣. تطبيق الاتفاقات التنظيمية التي حصلت على موافقة المرجعيّة والتي انعكس بعضها في عقد أحد الاجتماعات المتأخّرة يوم ٢٨ حزيران أي قبل يومين فقط من الاندلاع الفعلي والرسمي لثورة العشرين.

وعُقد اجتماع آخر في ٢٨ حزيران في مضيف الشيخ عبد الكاظم آل فرعون في المشخاب بعيداً عن أعين البريطانيّين والتي أخذت تزيد من ضغطها ومراقبتها للعناصر النشطة في مقاومة الوجود البريطاني في العراق حضره عدد كبير من الشخصيات العشائرية والمدنية امثال محسن ابي طبيخ وشيوخ من آل زياد منهم، هنين آل حنون وجرّي آل مريع والسيد هادي المكَوطر من الشنافية والسيد نور الياسري من المشخاب وغيرهم تمت فيه مناقشة الاستعدادات الاخيرة للتعامل مع الاوضاع القائمة.

واثناء انعقاد الاجتماع وصل السيد محسن السيد علي الياسري ومعه كتاب ورسائل من علماء الدين في النجف كلفوه بنقلها الى رؤساء العشائر والشخصيات المتنفذة في الفرات الأوسط، من جانبهم بعث المجتمعون رسائل الى بعض العشائر من بينهم بني حجيم لإعلامهم بفتوى اعلان الثورة لعدم جدوى المطالبات السلمية لأن الحقوق لا تؤخذ الا بالقوة وضرورة القيام بالتعبئة العسكرية والتموينية، بعد أن حددوا الثالث من تموز موعداً لانطلاق الثورة[٢٨]، لكن طبيعة الأحداث التي جرت مع شعلان ابي الجون عجلت بإعلان الثورة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠م.

لعبت كربلاء دورا كبيرا في التخطيط لثورة العشرين ازداد بعد اندلاع الثورة لأسباب عدة منها:

أ. وجود المرجع الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي فيها وتوليه المركز القيادي وقيامه بالتنسيق مع من زعماء العشائر المشاركين في العمل العسكري ضد القوات البريطانية المحتلة وهو تتويج للجهود التي قام بها علماء الدين من السنة والشيعة في المدارس والجوامع والحسينيات في تأجيج المشاعر الوطنية الدور الذي اعترف به ويلسن بالقول: إن طبقة رجال الدّين كانت تتنافس مع الزعماء في مناشدة الجماهير على أُسس دينية وطنية وحثّها على استئصال شأفة الاحتلال العسكري[٢٩].

ب. موقع المدينة الوسط وقربها من ساحات القتال والخطوط الاساس لمسار القوات وطرق تموينها من بينها المسيب والنّجف الأشرف[٣٠].

ثانياً: دور كربلاء التنظيمي والجهادي خلال ثورة العشرين:

بعد اندلاع الشّرارة الأولى لثورة العشرين في الثلاثين من حزيران/ ١٩٢٠م وصلت الرسائل

إلى الرميثية في يوم ١ تموز وذلك طالبت فيها عشائر المنطقة إخراج شعلان ابي الجون من سجن السراي الحكومي [٣١]. نتج عن مواجة مسلحة بين رجال قبيلة الظوالم التي يتزعمها الشيخ شعلان ابو الجون والقوات البريطانية، توسعت دائرة الصراع بعد وصول تعزيزات بريطانية ويبدو أن سبب التأخّر جاء نتيجة لعوامل بينها، عدم كفاية التسليح للقبائل الموجودة بعيدا عن كربلاء لاسيما في النجف وضواحيها فيما تمثل الثاني بضرورة تنسيق الجهد العسكري بينها بينما كان الثالث العمل على تنظيم الجهد الإستخباري المتمثل بتحديد الأهداف البريطانية وتتبع مسار تلك القوات وأماكن تجمعها الأساس وطرق معالجتها سعى المرجع لمنع وقوع كارثة الاستفراد البريطاني بقبيلة بني حجيم، بالتوسط لدى البريطانيين ورئيس الإدارة البريطانية في بغداد ويلسن لإيقاف القتال وسحب القوات البريطانية من مناطق القتال وإعلان العفو وإعادة المنفيين، لكن ويلسن رفض استقبال وفد المرجع الشيرازي محمّلاً إياه مسؤولية العمليات العسكرية عبر عمليات التحريض على الجهاد وتولي بعض المسؤوليات التنظيمية الخاصة بالعلاقة بين المجتمع العراقي والوجود البريطاني في العراق قائلاً هو الذي بذر البذرة وهذا يوم حصادها[٣٢]، من دون ان يدرك ان هذا الرد ستكون نتائجه عكسية على البريطانيين لأن العشائر العراقية ستعمل على توحيد جهودها القتالية لمواجهة المحتل.

لم يُهادن المرجع الشيرازي في التعامل مع طبيعة السياسة البريطانية مع معرفته لفارق القوّة بين الجانبين ويبدو أن ذلك الموقف المتماسك جاء نتيجة توقّع أن يؤدّي اتساع نطاق العمليات العسكرية الى تشتيت الجهد العسكري البريطاني، ومن هنا جاء موقفه بالتعامل مع مجمل القضية بجوانبها العسكرية والسياسية بالترخيص للعراقيين بالمطالبة بالحقوق الواجبة و«عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السّلم والامن، ويجوز لهم التوسّل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكَليز عن قبول مطالبهم»[٣٣]، وقد استجاب العراقيون لهذه الفتوى التي جعلت مقاومة المحتل واجباً وطنياً ودينياً.

استجابة لتطوّر الأحداث تحرّكت قطعات عسكرية بريطانيّة لقمع قوّات العشائر التي بدأت تفرض سيطرتها على الموقف في مناطق مختلفة من العراق لاسيما في الفرات الأوسط وإعلان الثورة في المشخاب ومحاصرة الثوار لمدن أبي صخير والشّامية والكوفة [٣٤].

بعد سلسلة من المعارك بين القوات البريطانية والثّوار شعر الثّوار بأهمية السّيطرة على بعض المناطق المهمّة لتسهيل عمليات الامداد والخدمات اللوجستيّة وقطع طرق إمدادات القوّات البريطانية وتحرّكاتها. وفعلاً تقدّمت بعض الفصائل المسلحة العراقية للسيطرة على سدّة الهندية وكربلاء، لكن القوات البريطانية سبقتها بالسيطرة على السدة[٣٥]، بسبب حصانة المواقع البريطانية والتفوق العددي البريطاني على القوات العراقية المهاجمة. اتضحت أهمية المقتربات

الريفيّة لمدينة كربلاء ومعرفة الثّوار بها وطرقها النيسمية بالترصّد للقوات البريطانية التي سعت لمهاجمة كربلاء واحتلالها، وعلى اثرها قامت القوات العشائرية المرابطة بقيادة الشيخ مرزوك العواد على ضفتي نهر الحسينية بمهاجمة القوات البريطانية اثناء مرورها بالمنطقة متجهة الى كربلاء وقد أوقعت بالبريطانيين خسائر كبيرة وأجبرتهم على التراجع فاستغلّ الثوار ذلك التقهقر للتقدّم والسّيطرة على مدينة كربلاء فقد أوعز الشيخ عبد الواحد سكر والسيد علوان الياسري في ٩/ آب إلى مجموعة من الثّوار بالتنسيق مع بعض القوات الموجودة داخل مدينة كربلاء لتحريرها وفعلاً استطاعت تلك القوّات دخول المدينة وأسر حميد خان بن أسد خان الحاكم السياسي البريطاني فيها وإرساله الى الهندية لاحتجازه هناك [٣٦]، وهو ما مثّل انتصاراً واضحاً للثوار وضربة قوية للقوات البريطانية، مما رفع من معنويات الثوار وعزّز من وضعهم الإجتماعي والمساندة الجماهيرية لهم.

أدّت الانتصارات السّابقة والدعم الجماهيري للثوّار لتنظيم الإدارة في مدينه كربلاء وتنسيق أعمالهم العسكرية والإدارية فيها بعد أن التزمت في البداية موقف الترقّب الحذر لمسار العمليات الحربية ولكن بعد معركة الرارنجية التي حدثت يوم ٢٥ تموز ١٩٢٠قررت كربلاء الانضمام إلى الثورة حيث اجتمع رؤساء البلدة بمعاون الحاكم السياسي محمد خان بهادر وطلبوا منه تسليم كلّ ما لديه من صلاحيات إلى هيئة وطنية ينتخبها رؤساء البلدة فطلب منهم محمد خان امهاله ليومين [٣٧].

يبدو أن محمد خان بهادر قد وقع أمام ضغطين الأول، هو الضغط الشعبي تسانده وتقوده المرجعيّات الدّينية والعشائرية بكلّ ما لديها من نفوذ وتأثير اجتماعي، بينما تمثل الثاني بالقدرات العسكرية البريطانيّة ونفوذها السياسي.

دفع الموقف السّابق الصّعب محمد خان بهادر الى محاولة الالتفاف خلال المهلة على رؤساء البلدة بالاتفاق مع مدير شرطة المدينة، لكن محاولته فشلت عندئذ التجأ مع محمد أمين ومعهم عريف بالجيش البريطاني لدار الشيخ محمد رشيد الصافي، بعدها تطوع الشيخ فخري كمونة بحماية الثلاثة وقام بإخراجهم من المدينة بأمان [٣٨] وفي اليوم التالي اجتمع رؤساء البلدة ووجهاؤها بالشيخ الشيرازي وقرروا تشكيل مجلسين لإدارة المدينة شعبي ووطني مهمتهما، الإشراف على المدينة وجباية الضرائب فيها وتعيين الموظّفين والشّرط [٣٩]، فضلاً عن تشكيل ثلاثة مجالس هي:

١. المجلس العلمي وقد تألف من مجموعة من كبار علماء الدّين ووظيفته بثّ الدّعوة في المناطق المختلفة ودعوة العشائر والشخصيات المهمّة والمواطنين الى دعم الثورة والمساهمة فيها كلّ حسب قدرته وإمكاناته المادية والجسدية.
٢. مجلس جمع الإعانات للمعوزين من الثوّار وقد تألفت من السّادة عيسى البزاز ومحمد رضا فتح الله آل طعمة وأحمد الزيني والحاج حيدر القصاب.
٣. المجلس الملّي (الوطني) وظيفته ادارة الشؤون الاقتصادية والإدارية عبر تعيين جُباة الضرائب

والرسوم وموزّعيها والموظفين والشرطة ومسؤولي المؤسسات الصحية وتألف من السادة عبد الوهاب آل طعمة وأحمد الوهاب ومحمد حسن الطعمة وعبد الحسين الددة وإبراهيم الشهرستاني ومحمد علي آل ثابت وحسن نصر الله وعبد النبي آل عواد وهادي الحسون وعبد علي الحميري والحاج عبد ابي الهر والحاج علوان جار الله وعلي محمد المنكوش وعزيز علوان زنكَي والحاج محمد الشهيب والحاج محمد حسن ابي المحاسن، ومن مهامه الاخرى تسيير أمور المواطنين الادارية والقضائية وتأمين الطرق القريبة من كربلاء مع مشاركة رؤساء المحلّات في المجلس كممثّلين عن محلّاتهم[٤٠].

٤. وبموجب هذه التشكيلة تمّ تعيين سمرمد الهتيمي وهو أحد رؤساء عشيرة المسعود من كربلاء رئيساً للشرطة وبإمرته ثلاثون خيالاً وخمسون من المشاة لحفظ الأمن في مدينه كربلاء[٤١]. وبعض المناطق المحيطة بها ليس لقلّة عدد القوة، بل لاعتماد أسلوب الكر والفر بين الثوّار والقوات البريطانية والمناورة بالقوّات العشائرية لعدم وجود توازن بين صاحب الأرض والمحتل بالعدّة والعدد ونوعية الأسلحة المستخدمة من الجانبين.

تأسّست تلك المجالس في أثناء مرجعية محمد تقي الشيرازي ولكن بعد وفاته في١٧ آب ١٩٢٠م تمّ حلّ المجلسين واستبدالها بحكومة مؤقّته، ويبدو أن هذا التحوّل في أسلوب الإدارة في كربلاء وطريقة التعامل مع التطوّرات السياسية والعسكريّة ناتجة عن مجموعة من العوامل من بينها:

أ. جاء النظام الإداري الأوّلي وفق رؤية الشّيرازي الذي كان متوافقاً سياسياً وفكرياً مع زعماء العشائر وقادة الحركة الوطنية سواء اكان في كربلاء ام في المناطق التي تسير في خط المرجعية.

ب. ادى غياب شخصية الشيرازي إلى الحاجة إلى تفعيل الدور القيادي لزعماء العشائر لعدم وجود تطابق تام بين رؤى الثّوار والزّعماء والمرجعية الجديدة أو على الأقل عدم استشفاف رؤاها حتى تلك المرحلة.

ج. ظهور حاجات إدارية مستجدّة لتفعيل الدور الإداري التنظيمي للمركز الإداري لكربلاء وما يتصل بها من مناطق ممكن أن تخدم العمليّات العسكرية وإدامة حياتها الإدارية والسياسية ولاسيما في المناطق التي خضعت للثوّار.

د. الحاجة إلى إيجاد أنماط إدارية جديدة بعيدة عن الموروث العثماني [٤٢] أو الرؤى والبناءات الإدارية التي سعت بريطانيا إلى فرضها على العراق وفي المقدمة منها تتجاوز كربلاء الخدمات الإدارية البسيطة إلى تأسيس بناء إداري واقتصادي للمناطق المحرّرة قادر على الصّمود وإدامة حياة المواطنين وكسب المعركة[٤٣]. أدّت وفاة الشّيرازي إلى حصول فراغ سياسي وإداري ليس في مدينه كربلاء فحسب، بل في العراق كلّه لفقدان شخصية بمثل قدرته في ترتيب الأوضاع السياسية والاجتماعية نتيجة صلته القوّية بالعشائر ووجود تقارب بين توجّهاته وتوجهات الزعماء

الوطنيّين والسياسيين مع تصاعد الحاجة إلى تعيين متصرِّف في مدينة كربلاء يُشرف على شؤون الأمن والنظام حسماً للخلافات التي بدت بوادرها بالظهور بين رؤساء وشيوخ المدينة سعياً وراء السّلطة والمنصب، فتمّ أتخاذ قرار في ٦ تشرين الأول١٩٢٠ باختيار شخصية وسطية مناسبة تمثلت بالسيد محسن أبوطبيخ متصرِّفاً للمدينة(٤٤).

وخلال المرحلة الانتقالية من عمر الثّورة تمّ تأسيس حكومة انتقالية على قمّة هرمها المتصرف وليس حكومة كاملة نتيجة عدم استقرار الموقف الحربي لصالح الثوّار، رافق ذلك تصميم علم رسمي لها مما أدى الى تصاعد الحماس الوطني بين المواطنين مع تصاعد الآمال بتحقيق حكم مستقل حر عن السّيطرة البريطانيّة عبر الصراع العسكري بعد أن رغب السكّان تحقيقه بالوسائل السلمية(٤٥) وقد حصلت هذه المستجدّات بعد أن تمكن الثوّار تحرير المناطق الممتدة من السّماوة حتّى المسيب والوصول الى الوند القريبة من كربلاء أوائل تشرين الاول وتشكيل مجلس حربي لإدارة العمليات العسكرية عُين على رأسه الشيخ محمد العبطان شيخ الخزاعل(٤٦).

سعى البريطانيون الى السيطرة على كربلاء لأهميتها الاستراتيجية باعتبارها المركز الاداري والقيادي والعقائدي للثورة، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل بعد أن تصدّت لهم القوّات العشائرية وكبّدوهم خسائر كبيرة اضطرتهم للتراجع إلى الهندية التي سبق أن سيطروا عليها. وبعد أن كرر البريطانيون المحاولة عبر التقدم بمحاذاة نهر الحسينية، أوعز عبد الواحد السكر إلى أخيه عبد الكاظم قيادة العشائر وإيقاف الزحف البريطاني وبعد معركة ضارية نجا فيها عبد الكاظم من الموت بأعجوبة بعد أن قطعت قذيفة مدفع رأس حصانه اندحرت القوّات البريطانية وتقهقرت إلى سدّة الهندية(٤٧).

على الرغم من المتغيرات الأخرى على صعيد المواجهة العسكرية مع البريطانيين إلّا أن ذلك لم يمنع الثوّار من إقامة مراسم مهيبة في مدينة كربلاء رفع فيها العلم العراقي لأول مرّة في العراق، وإطلاق الأهازيج والقصائد والأشعار الشعبية والخطب الحماسية(٤٨) وقد قابلت الإدارة البريطانية ذلك بقطع المياه عن مدينة كربلاء عن طريق ناظم الحسينيّة وقد اعترف بذلك الجنرال هايدن قائد القوات البريطانية في العراق لجعل سكان البلدة يشعرون بعذاب الحرمان من الماء(٤٩).

أدّى تكرار الهجمات البريطانيّة ونفاد ذخيرة الثّوار وكبر حجم التحشيد البريطاني مع استخدام الطائرات والأسلحة المتطوّرة الى تراجع الروح المعنوية لثوّار كربلاء خشية امتداد العمليات العسكرية إلى داخل مدينتهم بعد أن استطاع البريطانيون كسب بعض الأعوان والمتآمرين واستثمار الانقسام الداخلي لبعض العشائر في الاستمرار بالقتال حتّى الموت أو التوقّف وهذا ما حصل عند عشيرة بني حسن فاضطر على إثرها الشيخ عبد الواحد آل سكر القدوم إلى الهندية في محاولة منه لحلّ النزاع لكن

مهمته لم تتحقّق نتيجة لأن القوات البريطانية وصلت إلى مشارف البلدة[٥٠].

لم يبق في المدينة غير عبد الواحد السكر مع ثلاثين فارساً، لذا قرّر وبمساعدة أحد شيوخ بني حسن الوطنيين وهو عبد المحسن بإشعال النار في الجسر لمنع عبور القوات البريطانية الى الهندية بسكب النفط عليه، إلاّ أن ذلك لم يمنعها بعد أن قامت سرية الاستحكام ووحدة راجبوت رقم ١٣ بإطفاء النيران والدخول الى المدينة [٥١].

إن هذا التراجع في القدرات القتاليّة للثوار الكربلائيين سببه وفاة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشّيرازي وانتقال المرجعية من كربلاء إلى النجف بعد تولّي الشيخ فتح الله الأصفهاني لها فأحدث ذلك فراغين الأول تمثَّل بالفراغ المكاني أي فقدان كربلاء لمقر المرجعية المتمثل بانتقال مقر المرجعية منها الى النجف والثاني الفراغ التنظيمي بعد فقدان زعماء الثورة وقياداتها العشائرية والوطنية لسند عقائدي مهم في وقت حرج تصاعدت فيه التحديات العسكرية البريطانية متزامنة مع حصول خيانات في صفوف قوات العشائر بما احدث ثلمة في إمكانية مقارعة القوات البريطانية عبر التضامن القبلي والحفاظ على الروح المعنوية العالية، غير بعيد عن ايمان المرجع الجديد بأفضلية الحلول السياسية وتجنُّب إراقة الدّماء لاسيما بعد ضعف قدرات العشائر القتالية لتقلص إمداداتها من السلاح واستعادة القوّات البريطانيّة لزمام المبادرة بعد قيامها بتحشيد قوّات عسكرية قادرة على التفوّق على القوات القبلية مع استخدام مختلف الأسلحة المتطوّرة وبخاصة الطّائرات.

أدّت تلك الظروف إلى قدوم وفد من كربلاء في ١٣ تشرين الأول ١٩٢٠م يُمثل شيوخ ووجهاء المدينة للتفاوض مع قيادة القوّات البريطانيّة المتمركزة في مدينة الهندية لغرض تسليم مدينة كربلاء للقوّات البريطانيّة بدون قتال. وتشكَّل الوفد من كلّ من السادة: أحمد الوهاب وعبد الوهاب آل طعمة وإبراهيم الشهرستاني وعبد المحسن السعود والشيخ بحر الشبيب رئيس عشيرة اليسار والحاج محمد حسن ابي المحاسن وعبد المجيد الحميري ومحمد حسن آل طعمة ومحمد الشهيب[٥٢]، يُلاحظ على الوفد المفاوض أنه تكوّن من الاسماء غير المطلوبة من الإدارة البريطانية مع أن بعضهم عمل في المجال السياسي سواء اكان في الحركة السياسية السابقة لثورة العشرين ام إدارة المدينة في أثناء الثورة، إلا أنهم لم يُمارسو نشاطات عسكرية واضحة.

ذهب الوفد إلى الهندية مقر الفرقة العسكرية الثالثة والخمسين لمقابلة القائد العسكري البريطاني ساندرند الذي قابله الوفد يوم ١٧ تشرين الأول ١٩٢٠م لكون مسألة المقابلة تخصّ قضايا سياسية تتجاوز صلاحياته. نصح ساندرند الوفد الكربلائي بالذهاب إلى بغداد لمقابلة السير برسي كوكس بعد أن أعادته الحكومة البريطانية حاكما مدنياً على العراق وحين قابل الوفد كوكس عرض عليهم الأخير ستة شروط ومنها تسليم ١٧ مطلوباً خلال ٢٤ ساعة إلى الحكومة البريطانية من

قيادات الثورة وتسليم القوّات البريطانية أربعة الآف بندقية ومائة طلقة مع كلّ بندقية مع دفع تعويضات عن البنايات والمؤسّسات العسكرية البريطانية التي دمّرها الثوار مقابل عدم تعرّض القوّات البريطانية لأهالي مدينة كربلاء وزوّارها، فوافق الوفد على تنفيذ جميع الشروط البريطانية أما بخصوص المطلوبين الـ١٧ فقد سلَّم عشرة منهم، أنفسهم إلى السلطات البريطانية وهم كلّ من السادة هبة الدين الحسيني الشهرستاني وحسين القزويني وعبد الوهاب آل طعمة وحسين الددة ومحمد الكشميري عبد الرحمن العواد وعبد الجليل العواد وطليفح الحسون ومحمد حسن أبو المحاسن وعمران الحاج سعدون[٥٣] في حين هرب البقية أبرزهم عبد الواحد آل سكر.

لم تف بريطانيا بوعودها حتى بعد أن سلَّم الثّوار المتبقّون في المدينة أنفسهم بحجّة ملاحقة الآخرين من الثوّار، بينما كانت الغاية الأساس الانتقام من الثوّار ولتحطيم روحهم المعنوية لعدم تكرار الثورة أو أي نوع آخر من التمرّد، فقامت القوّات البريطانية بانتهاك حرمة المدينة والاهالي بقطع مياه نهر الحسينية عنها، وإجبار الأهالي على تسليم البنادق ومن لم يُسلِّم فإن السلطات البريطانية تقوم بحجز أموالهم وبيوتهم ومزارعهم فاحتجزت ١٢ داراً و٢٧ بستاناً و٢٤ دكاناً وثلاثة مقاطعات زراعية وقد بلغ مجموع ما أخذته من غرامات ٩٤ ألف ليرة عثمانية [٥٤]، وهو رقم كبير يُدلّل على أن الغرامات هي إجراءات عقابية وليست تعويضاً عن الأسلحة، لكن هذه الخطوة لم يكن لها أي تأثير على تطوّر الاحداث وسيرها[٥٥]، لأن أهالي كربلاء سرعان ما استعادوا توازنهم بالتخطيط لنوع الحكم الذي من الممكن أن يـؤدّي إلى تسلم العراقيين من جديد لزمام الأمور.

اتهم أرنولد ويلسن وكيل الحاكم المدني العام جهات أجنبية بإثارة المدينة، قائلاً «إن سبعة آلاف ليرة عثمانية ذهب قد وصلت إلى أيدي المتطرّفين في كربلاء خلال شهري مايس وحزيران» ومهما يكن من أمر فإن المدينة بقيت في ثورتها إلى أن استطاع البريطانيّون العودة إليها

بعد تسليم كربلاء وقبول شروط الاستسلام القاسية التي فرضتها سلطات الاحتلال والتي انعكست إلى حد بعيد على إضعاف الرّوح المعنوية للمقاتلين وبالذات في المناطق القريبة من كربلاء والتي تتصل بها بصلات عشائرية وتنسيق سياسي وعسكري وكتحصيل حاصل لها قيام القوات البريطانية بالسيطرة على ديالى وإخماد نار الثورة فيها وأرجعت الفلوجة إلى قيود الاحتلال واستردّت هيت [٥٦].

جاء ذلك بعد أن رأت القيادة البريطانية أن الوقت قد حان للقيام بهجوم عام على جبهات القتال في الفرات الأوسط مستخدمة تفوّقها العسكري وتحديداً قوّاتها الجوية، فعهدت إلى اللواءين ٥٣ و٥٥ بالهجوم على كربلاء فتحرّك اللواء ٥٣ عليها يوم الثلاثاء، ١٢ تشرين الأول

سنة ١٩٢٠م واشتبك مع الثوار في معركة حامية واستطاع بعدها من السيطرة على مدينة طويريج

على الرغم من أن العمليات العسكرية لم تدخل مدينة كربلاء المقدّسة في البداية لأسباب عدة من بينها المفاوضات السّابقة التي جرت بين الجانبين وإعـلان استعداد المدينة للاستسلام وصغر حجمها قياساً بالأقضية والمساحات الزراعية المحيطة بها والتي مثّلت أهمية أكبر من المدينة نفسها من الناحية العسكرية، غير بعيد المكانة الاعتبارية للمدينة لمكانتها الدينية، لكن استسلام المدينة وفرار الكثير من الثوّار جعل البريطانيّين يسعون إلى الاقتصاص من الأهالي تمَّ ذلك مع احتلال سدّة الهندية وقد اتجه قسم من الرتل ٥٣ من الحلة إلى المحاويل في العاشر من تشرين الأوّل فاحتلّها بيسر ثمّ تقدّم نحو «خان الحصوة» فسيطر عليها واتجه نحو قصبة المسيب فتصدّى له الثوّار بشدة ولكنه تغلّب على تصديهم هذا واستولى على القصبة ثمّ تقدّم نحو السدّة وقاموا باحتلالها وبذلك يكون الجيش البريطاني قد امتلك «مفتاح الفرات الأوسط» وأصبحت المبادرة بيده، فكان لا بدّ من اتخاذ الثوّار جميع الخطوات اللازمة لإنهاء القتال، على أنهم لم يتخلّوا عن قتال المشاغلة.

أدّت ثورة العشرين إلى ظهور الحاجة إلى لسان ينطق باسمها والتعبير عن أهدافها، ولما كانت مدينة كربلاء المقدّسة لم تضّم مطابع وامكانات نشر وتـوزيـع غير بعيدة عن الـظـروف الامنية والاستهداف المستمر من السلطات البريطانية لدعاة الثورة وناشطيها، فقد تمَّ التعويض عن ذلك عبر الاستعانة بمطابع النجف ومثقّفيها، فظهرت جريدة الـفـرات والتي أشرف عليها الشيخ باقر الشبيبي وصدر العدد الأول منها في ١٥ ايلول ١٩٢٠م مستفيدة من مطابع النجف والـورق الـذي سيطر عليه الثوّار من البنايات الحكومية وقد عبّرت الجريدة عن رؤى الثّوار وأمانيهم وآرائهم ونشرت آراء الثّوار من شيوخ عشائر ومثقفين وعلماء ديـن سـواء اكـانـوا من كربلاء ام غيرها من المدن والقرى التي ثارت ضدّ بريطانيا ونقلت خطب قادة الثورة من بينها خطب الشيخ عبد الواحد آل سكر والتوجيهات المرسلة إلى الثوّار سواء اكانت في التعامل مع الأسرى والجرحى ام في ميادين القتال والدعوة إلى تنصيب أحد أنجال الشريف حسين ابن علي شريف مكة ونشر خبر وفاة الشيخ أية الله الشيرازي في ١٧ آب ١٩٢٠م. وقد توقّفت الجريدة بعد نشر عددها الخامس [٥٧] ويبدو ذلك نتيجة وصول الثوّار إلى تفاهم مع بريطانيا مع نفاد الإمكانات الطباعية وصعوبة الطباعة بعد إجراءات الحصار والملاحقة البريطانيّة.

ظـهـرت جـريـدة أخـرى في النجف باسم الاستقلال في ٣ تشرين الأول/ ١٩٢٠م وأشرف على تحريرها المحامي محمد عبد الحسين وقد ساعد في التحرير ضابطان هما ناجي حسين وجميل قبطان واللذان عملا كمراسلين حربيّين في تتبّع نشاطات وعمليات ومعارك الثوّار ونشرها واستطاعت الصحيفة الحصول على بريد القوات البريطانيّة بعد أن ألقته الطّائرات البريطانيّة بعيداً عن مقرّ

قواتها فاستولى عليه بعض الثوار وأوصلوه إلى مقر الجريدة التي كانت تُطبع في مطبعة الشيخ صادق الكتبي وقد نشرت الجريدة في أحد أعدادها مقالة تتحدّث فيه عن حاجة الثّوار إلى الأطعمة والذخائر خلال فصل شتاء عام ١٩٢٠م مما دفع متصرف كربلاء محسن أبو طبيخ إلى توجيه احتجاج شديد اللهجة على الصحيفة خشية من إضعاف معنويات الثوّار ووصول تلك المعلومات إلى السلطات البريطانية لكن الهيئة التي تتولّى الامور في النجف هدّأت موقف المتصرف(٥٨). وساءت العلاقة بين الثوّار والصحيفة حتى انتهاء الثورة وتشكيل حكومة عراقيّة.

الخاتمة

ادت كربلاء دوراً مهما في وضع الخطوات الاساس لاندلاع ثورة العشرين وتنظيم عملياتها العسكرية لمقومات عدة من ابرزها: -

١. مساهمة القوى الوطنية فيها في اعلان ثورة العشرين نتيجة تلاحم الجهود الوطنية لكل من علماء الدين وزعماء القبائل الموجودة في المحيط الجغرافي لكربلاء او المناطق القريبة منها في الفرات الاوسط.

٢. كثرة الشخصيات الوطنية الموجودة في كربلاء وغناها المادي النسبي سواء اكان نتيجة ازدهار السياحة الدينية ام تحول الزراعة في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع من زراعة تكامل داخلي الى زراعة دولية دخلت ضمن المنظومة الرأسمالية الدولية.

٣. القدرة التنظيمية لكربلاء الحوزة او زعماء العشائر المرتبطين بها في تنظيم الحركة الوطنية سواء اكان ذلك لاتساع التنظيمات الإجتماعية المرتبطة بالحوزة العلمية التي مقرها كربلاء ام التنظيمات العشائرية الموالية للحوزة والمذهب الاثني عشري.

٤. ساهمت وفاة المرجع الديني محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان/ ١٩١٩م الذي كان يتبنى الاتجاه السلمي في المطالبة بالحقوق الوطنية وتولي المرجعية محمد تقي الشيرازي الداعي الى استخدام القوة للحصول على الحقوق السياسية.

٥. تولت كربلاء جانبا مهماً من عمليات تنظيم الثورة لحضور الكثير من الشّخصيات والزعامات الدينية والعشائرية (من مختلف المذاهب إلى مدينة النجف الأشرف) وكربلاء بما مثّل فرصة لتعزيز الأواصر الوطنية وتنسيق المواقف لمواجهة البريطانيّين.

٦. استطاع الشيخ محمد تقي الشيرازي بشخصيته الإجتماعية ومكانته الدينية وتشعب علاقته لَعِبَ دور مؤثر في تحشيد القوة السياسية والإجتماعية المضادة لبريطانيا ووجودها العسكري والإداري في العراق عامة وكربلاء خاصة.

٧. احدثت وفاة المرجع الشيرازي ثلمة في صفوف الحركة الوطنية نتيجة الاختلاف في الرؤى والقدرة التنظيمية للشيرازي وللمجالس في أثناء مرجعية محمد تقي الشيرازي ولكن بعد وفاته في١٧ آب ١٩٢٠م تولى الشيخ فتح الله

الأصفهاني المرجعية في ٢٧اب/ ١٩٢٠ ومقره النجف الاشرف والذي تعامل بواقعية مع احداث الثورة ففي البداية رفض التفاوض لكن تغير مجرى الأحداث جعله يقبل بالحوار والتفاوض.

٨. ادت وفاة الشيخ الشيرازي الى ضرورة تعويض دوره التنظيمي بإيجاد حكومة مؤقّتة بدلا من تقسميها الى ادارتين ملية، ويبدو أن هذا التحوّل في أسلوب الإدارة في كربلاء وطريقة التعامل مع التطوّرات السياسية والعسكريّة ناتجة عن مجموعة من العوامل من بينها:

أ. جاء النظام الإداري الأوّلي وفق رؤية الشّيرازي الذي كان متوافقاً سياسياً وفكرياً مع زعماء العشائر وقادة الحركة الوطنية سواء اكان ذلك في كربلاء ام في المناطق التي تسير في خط المرجعية.

ب. ادى غياب شخصية الشيرازي إلى الحاجة إلى تفعيل الدور القيادي لزعماء العشائر لعدم وجود تطابق تام بين رؤى الثّوار والزّعماء والمرجعية الجديدة أو على الأقل عدم استشفاف رؤاها حتى تلك المرحلة.

ج. ظهرت جريدة الفرات والتي أشرف عليها الشيخ باقر الشبيبي وصدر العدد الأول منها في ١٥ ايلول ١٩٢٠م لنقل اخبار الثورة والدعوة لمبادئها الجهادية.

الهوامش

(١) وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠م الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية)، ط١، مطبعة إشبيلية، بغداد، ١٩٨٥م، ص٣٩٤.

(٢) للمزيد ينظر: إخلاص لفتة حريز الكعبي، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطوّرات السياسية ١٩١٤-١٩٢٤م، رسالة ماجستير، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، ص١١٤-١٥٧.

(٣) للمزيد ينظر: عبد الرحيم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق (الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤م)، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٨٥-١٩٠.

(٤) محسن أبو طبيخ، المبادئ والرجال، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٨م، ص ٢٢.

(٥) وميض جمال عمر نظمي، م س، ص ٣٥٢.

(٦) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٩٨.

(٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩-١٩٧٦م، ص ١٢٦.

(٨) علي الوردي، م س، ج٥، ص١٢٥.

(٩) علي الشرقي، الأحلام، بغداد، ١٩٦١م، ص١٠٧ - ١٠٨، علي الوردي، م س، ج٥، ص١٢٦.

(١٠) علي الوردي، م س، ج٥، ص١٢٦.

(١١) فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق

المعاصر١٩١٤ - ١٩٥٨م، الكويت، ١٩٨٤م، ص٥١.

(١٢) علي الوردي، م س، ج٥، ص ١٢٨

(١٣) عبدالرزاق الحسني،الثورة العراقية الكبرى، ص١٣٤.

(١٤) علي الوردي، م س، ج٥، ص ١٢٨؛عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص ١٦٤-١٦٥؛ عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، ط٣، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥م، ص ٢٧٩.

(١٥) هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، جـ ١، ترجمة سليم طه التكريتي بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص١٣٠.

(١٦) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية، ص ١٦٥-١٦٦.

(١٧) علي الوردي، م س، جـ ٥، ص ١٨٤.

(١٨) عبد الرزاق الحسيني الثورة العراقيه ص ١٣٤

(١٩) على الوردي، ج٥، ص ١٢٨.

(٢٠) عبد الله الفياض، م س، ص ٢٧٩.

(٢١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٠٢.

(٢٢) عبد الرزاق الوهاب، كربلاء في التاريخ، ج٣، بغداد، ١٩٣٥م، ص ١٠٢؛ علي الوردي، م س، جـ ٥، ص١٢٨-١٢٩.

(٢٣) عبد الرزاق الوهاب، م س، ص ٩٦-٩٧.

(٢٤) تأسست جمعية الاستقلال من قبل بعض الساسة الداعين إلى تحرير العراق واستقلاله السياسي على يد مجموعة من الضباط السابقين منهم، شاكر محمود ومحمود رامز وعارف حكمت، علي البازركَان وهو معلم وجلال بابان المحامي وباقر الشبيبي للمزيد انظر، محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط٢، لندن، ١٩٩٠م، ص ١٣٧.

(٢٥) عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٤٥م، ط٢، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٠٣.

(٢٦) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص١٠٢.

(٢٧) عبد الله الفياض، م س، ص ٢٧٤.

(٢٨) عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦م، ص ١٦٢-١٦٨.

(٢٩) السير أرنولد تالبوت ويلسن، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين، ترجمة فؤاد جميل، جـ ١، ط٢، بغداد، ١٩٩١م، ص١٣٧.

(٣٠) علي الوردي، م س، ج٥، ص٣١٣.

(٣١) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤م، د مط، د م، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٣٢) فريق مزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠م ونتائجها، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢م، ص٤٧٦.

(٣٣) حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، دار المنتدى، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٣٥.

(٣٤) عبد الله الفياض،م س، ص ٢٧٣-٢٧٤؛ محمد علي كمال الدين، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، بغداد، ١٩٧١م، ص ٩٣.

(٣٥) عز الدين عبد الرسول عبد الحسين، محسن أبو طبيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨م، رسالة ماجستير/ كلية الآداب – جامعة الكوفة، ١٩٩٩م ص ٤٥.

(٣٦) عز الدين عبد الرسول عبد الحسين، م س، ص ٤٥؛ صالح عباس الطائي، عبد الواحد السكر ودوره الوطني في العراق حتى ١٩٥٦م، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

(٣٧) سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيسان، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٦١

(٣٨) علي الوردي، ج٥، ص٣١٥.

(٣٩) سلمان هادي آل طعمة، م س، ص٦٢.

(٤٠) م س، ص ٣٩٧-٣٩٨؛ سعيد رشيد زميزم، لمحات تاريخية عن كربلاء، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٤٤.

(٤١) مزهر الفرعون،م س، جـ١، ص ٢٤٨.

(٤٢) تمثّل الموروث العثماني بالبناءات الادارية والقوانين الإدارية التي كانت سارية خلال المدة الأخيرة من الحكم العثماني والتي مثّلت بديلاً سهلاً عن القيام بعمليات دستورية معقدة نتيجة عاملين الأول صعوبة الموقف العسكري فيما تمثّل الثاني بعدم استطاعة الثوّار مدّ سيطرتهم على كلّ مناطق العراق وبالتالي كان عملهم انتقائياً من القوانين العثمانية وعلم مستقل جديد مع تطبيق بعض رؤى المرجعية التي لا تسايرها بغض القوانين العثمانية للمزيد انظر: الاستقلال (صحيفة)، النجف، العدد٦، السنة الأولى، الاثنين ٢٧ محرم / ١ - تشرين الاول / ١٩٢٠م،

(٤٣) سلمان هادي آل طعمة،م س، ص٦٣.

(٤٤) سلمان هادي آل طعمة، م س، ص٦٨.

(٤٥) الاستقلال (صحيفة)، النجف، العدد ٦، السنة الاولى، الاثنين ٢٧ محرم / ١٣٣٩هـ =١٠ تشرين الاول/ ١٩٢٠م.

(٤٦) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٣٦.

(٤٧) مزهر الفرعون،م س، جـ ١، ص ٢٧٧؛ علي الوردي، م س، جـ ٥، ص ٢٧٥.

(٤٨) رشيد سعيد زميزم، م س، ص ٧٥؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط٢، لندن، ١٩٩٠م، جـ١، ص ١٤-١٥.

(٤٩) تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، جـ ٢، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٦م، ص١٨٥.

(٥٠) مزهر الفرعون،م س، جـ٢، ص ٤١٢.

(٥١) علي الوردي،م س، جـ٥، ص ١١٤؛ صالح عباس الطائي، م س، ص٥٨.

(٥٢) سلمان هادي آل طعمة، م س، ص ٧١.

(٥٣) م س، ص ٧٣.

(٥٤) سلمان هادي آل طعمة،م س، ص ٧٣.

(٥٥) السير المر هالدن، ثورة العراق ١٩٢٠م، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٤٧.

(٥٦) سلمان هادي آل طعمة، م س، ص ٧٣.

(٥٧) رفائيل بطي، صحافة العراق، إعداد سامي رفائيل بطي، جـ ١، بغداد، ١٩٨٥م، ص ٦٨-٦٩.

(٥٨) م س، ص ٧٠.